تحليل المضمون ومسألتا الصدق والثبات

د . عزي عبد الرحمان
معهد علوم الاعلام والاتصال
جامعة الجزائر

يعتبر تحليل المضمون أو تحليل المحتوى (content analysis) أداة بحث متميزة في الدراسات الاعلامية ماضياً وحاضرا . وقد وردت في الأدبيات الاعلامية تعاريف عدة عن ماهية هذه الأداة :

«... تقنية بحث تخص الوصف الكمى المتسق والموضوعي الذي (أي الوصف) يتناول المحتوى الظاهري للاتصال» .[1] .

«... تقنية بحث تمكن (بضم التاء وكسر الكاف المشدد) من استظهار استدلالات وافية قابلة للاستنساخ (replicable) بفعل التدرج من البيانات الى سياقها .»[2]

«... تقنية متسقة تخص تحليل محتوى الرسالة وطريقة معالجة الرسالة – أو أداة تخص ملاحظة وتحليل السلوك الخاص بالاتصال الظاهري (overt communication) لعدد مختار من المرسلين .»[3]

«... احدى وسائل دارسة الاتصال من حيث طبيعتة ، معانيه المتميزة ، سيروراته الديناميكية ، والقائمين بالمخاطبة والكتابة أو نقل الأفكار والمعاني الى بعضهم البعض .»[4]

ويتبين أن تحليل المضمون ليس منهجية قائمة في حد ذاتها أو طريقة «ذات حياة خاص بها» (sui generis) ولكن هذا التحليل يتفاضل عن أساليب البحث الأخرى بما يلي :

أ – أن البيانات تحتوي على الرموز الذي تشكل فحوى الاتصال كالرسائل ، والكتب والخطب الدينية ، والمحاورات ، والبرامج التلفزيونية ، والجلسات العيادية والرسوم واللوحات الزيتية ، الخ ..

وب – أن طريقة التحليل تستهدف الدقة وامكانية اعادة الاستنساخ الشيء الذي يقلل من الغموض أو التحيز الناجم عن أحكام الباحث الواحد . ونجد أن كل تحليل مضمون يوظف مخططا منظما مباشرا في عملية جمع البيانات وتصنيفها وعدها كميا قصد قياس المفاهيم المطروحة وفحص أنماطها وعلاقاتها المتبادلة ثم تأويل استنتاجات هذا التحصيل المعرفي .

بعض الخلفيات الحضارية :

ان تحليل ما تحمله رسالة ما (ملفوظة أو منسوخة) ليس بالحديث وغير مقتصر على ما ترده منشورة صحفية أو قناة سمعية و/أو بصرية ذلك أن عملية فك الرموز موروثة في الاتصال الانساني حتى في المستوى الأولى من التخاطب أو المخاطبة . وقد اعتبر منظرو مدرسة التفاعلات

الرمزية Symbolic interactionism) أمثال «كولى» و «طوماس» و «جميس» أن آلية الاتصال تتضمن بالضرورة تحليل رموز الأطراف المشاركة في الاتصال . وأورد «ميد» أن الحياة الاجتماعية «سيرورة تأويلية» (interpretive process)[5] يقول «ميد» في هذا السياق :

إن أي حدث حقيقي يجابهه الفرد يترتب عنه نوع من التأويل الرمزي وأن كل بناء رمزي تقريبا يحدث عواقب على الطريقة التي يستجيب لها الأفراد لما نعرفه بصفة عامة أنه الحقيقة[6]

ويتضح أن مؤسسة تفسير وتأويل النصوص ظاهرة فاعلة في التقاليد التراثية العربية الاسلامية . وقد ورد تعبير «تأويل الأحاديث» عدة مرات في سورة يوسف وتظهر العلاقة جلية بين النص والتأويل في محاورة يوسف مع أبيه : «اذ قال يوسف لأبيه يأبت اني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين . قال يابني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ان الشيطان للانسان عدو مبين . وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث»[7] . ثم المحادثة مع من دخل معه السجن اذ «قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر اني أرَانِي أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين» .[8] فكان التأويل : «يا صحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذي فيه تستفتيان»[9] . وقد جاء في تفسير محمد علي الصابوني أن معنى تأويل الأحاديث هو تفسير الرؤيا[10] . وقد عبر (بضم العين و كسر الباء) عن الرؤيا برموز لغوية فأصبحت نصا كما يقول البنيويون . وتبرز مكانة هذا الفعل التأويلي في تفسير الأحاديث النبوية وكذا في ظاهرة الاجتهاد التي كانت تقوم على مبدأ تكييف نصوص الشريعة مع مستجدات الواقع وما يترتب عن ذلك من تعامل جدلي بين الفاعل والنص والواقع . وقد أبدعت الحضارة العربية الاسلامية في دراسة الفلسفة اليونانية ومعالجة تساؤلاتها وتكييفها مع متغيرات الزمان والمكان وكذا الابداع في اطارها ولا حاجة الى الاستدلال هنا بأعمال الفارابي وابن رشد والغزالي عن هذه المساهمة الانسانية الحضارية . وقد يعود أصل أسلوب تحليل المضمون الى العرب ويتجلى ذلك فيما يسمى بعلم الكلام أي تسخير الإهتمام العقلي في تفسير كلام الله من كلام غير الله . وقد اعتبر علماء الكلام أن النص القرآني يتضمن مفاهيم أساسية تحتاج الى توضيح ، والتوضيح يعني «تحليل المفهوم الغامض لاستخراج العناصر الداخلة في تكونه لكي نفهمه .»[11] وقد قام الفقه الاسلامي على مبدأ استخراج الأحكام الشرعية التي تضمنها النص القرآني والأحاديث النبوية وهذا المبدأ يمثل عملية عقلية أو ضرب من الاستنباط الرياضي[12] أو قراءة علمية لنص ما . وكان بعض السلاطنة في المراحل الأولى من الخلافة الاسلامية يعينون ما يسمى «بالمفتى» الذي يقوم بتأويل نصوص الشريعة وفقاً لما تسطره الهيئة الحاكمة[13] . وقد ظلّت بعض القيم والتقاليد الخاصة بتفسير الأحاديث وتأويلها قائمة في المؤسسات التعليمية الدينية التقليدية التي حافظت على المقومات العربية الاسلامية خاصة في ظل الاستعمار . ونجد مثلا أن الامام عبد الحميد بن باديس (في الجزائر) اعتمد في

مجالسه الخاصة بتفسير الأحاديث والنصوص الدينية الأخرى على منهجية تتضمن عناصر السند (إذ يذكر الفرد الذي روى الحديث ، وكذا مصادره ورتبه العلمية والعملية) ؛ المتن (حيث يتناول كلمات الحديث وعباراته وأيضاً الروايات العديدة التي ورد بها الحديث المعنى) ؛ والألفاظ والتراكيب (فيركز على الدلالة اللغوية والمعنى الذي تحمله هذه الصيغ مستعينا أحيانا بقواعد اللغة وبلاغتها) ؛ والمعنى (ويخص المغزى الأساسي الذي يتضمنه النص) ؛ والاستنباطات (اذ يستقرىء ما يتضمنه النص من «حقائق وأحكام وقيم مختلفة نفسية وأخلاقية واجتماعية وتاريخية وكونية ؛ مطبقاً ذلك على البيئة الجزائرية والأمة الاسلامية والمجموعة الانسانية .[14]

ويتضمن التراث الشعبي معالم ثقافية تقوم على نمط تحليل مضمون ما يقال . وتعكس الأمثال الشعبية هذا التوجه بصيغ مباشرة اذ يقال : «فسار الهدرة خير من عوادها» (أي أن من يفسر الكلام أفضل من الذي يرويه فقط) ، «أسمع وانقد كلامي» (أي لا تأخذ كل ما أقوله بجدية) ، «لا تمون لا تخون» (أي لا تثق بدون ترو و لاتشك في كل شيء) ؛ «كلام الملاح ما يتلاح» (أقوال ذوي الخبرة لا ينبغي استثناؤها) ، «هذه هدرة والاتخياط عشة» (عندما لا يتضح المقال ان هو جد أم هزل) ؛ و «أفهم يالفاهم .»[15]

ويتبين من مقابل ذلك أن تحليل المضمون في الغرب ارتبط في نشأته بتفسير واعادة قراءة النصوص المقدسة في عصر الاصلاح الديني (القرن 15 و 16) يقول «دالامار» و «ماكارتي» في هذا الشأن :

> عندما لم يعد يتصور (بضم الياء) الاله مباشرة في خلقه ، كان لزاما على كل من علماء اللاهوت وأصحاب العقيدة عامة التركيز أكثر على الوحي الإلهي الخاص ، «كلمته» كما احتواها الكتاب المقدس (the bible) هذا الوحي الذي أضحى في متناول الانسان كغيره (الهاء تعود الى الوحي) من الخلوقات وهذا يفعل قدره الانسان على استخدام اللغة . هذا التوجه أفرز جهودا شاملة تجاه الأسفار التوراتية أو عملية تأويل المخطوطات المقدسة . وقد أخذ هذا العهد الافتتاحي شكل إحياء العصور الغابرة وتجديد قراءة النصوص الكلاسيكية ، والتي كانت (أي النصوص) سابقا محل تجاهل أو معروفة فقط في قناع لاهوتي واذا فان الاصلاح The Reformation) دشن عهد تطور التأويل الثقافي واللاهوتي[16] .

وقد تواجدت في بداية العصرنة «ثقافتان» ارتبطتا باستراتيجية البحث : العلم (science) والفهم التأويلي (interpretive understanding) . واستطاعت المدرستان التعايش دون أي تناقض أساسي ولم يحدث هناك انفصام معتبر بين العلم والفهم . وقد بدأت هذه العلاقة ابتداء من عصر التنوير (القرن 17 و 18) تتخذ اتجاه آخر اذ بدأت الحسابات المنطقية والتحاليل الامبريقية تأخذ الصدارة على حساب القيم الثقافية في عملية البحث عن «الحقيقة» .[17] وقد أخذت هذه الاتجاهات (في القرنين 19و 20) شكل أ . الحركة الوضعية (positivism) كما يتجلى ذلك في الفلسفة الوضعية التي ارتبطت

«بسان سيمون» و «كونت» ، أو الوضعية التطورية «سبانسر» و «هايكال» ، أو الوضعية الظاهرية «ماش» و «أفناريوس» أو الوضعية المنطقية التي أسسها منظرو نادي فيينا (Vienna Cirle) ، وب . المدرسة الانسانية (humanism) التي تبدو معالمها في أعمال «دلتاي» ، قيبر» ، «آبال» ، «ريكور» ، «شوتز» ، وغيرهم .

وقد لجأت العديد من العلوم الانسانية والاجتماعية في بداية هذا القرن الى توظيف تحليل المضمون (الكمى والكيفى) في معالجة الظواهر الثقافية والاجتماعية . واستخدمت في النقد الأدبي بعض الاليات مثل نوع الايقاع ونسبة الصفات مقارنة بالافعال في نص ما وذلك قصد تحديد ميزات الأساليب الأدبية في الكتابة ، أو فهرسة المراحل التي خصت تطور الكتابة الأدبية ، أو ترتيب تسلسل أعمال مؤلف ما ، أو حسم نزاع حول من هو صاحب نص ما ، الخ . وقدم علماء التربية في هذا السياق عدة صيغ تمكن من قياس مقروئية المادة المنشورة استناداً الى بعض المؤشرات مثل نسبة الألفاظ الميسرة مقارنة بالمركبة ، وطول الجمل ، الخ .[18] وستخدم دارسوا الاعلام في بداية هذا القرن تقنية عد السطور والمساحات التي تخصصها الجرائد في معالجة الاخبار الدولية أو الرياضية ثم لجأ هؤلاء الى اجراء المقارنة بين محتويات الجرائد وكذا بين محتويات الجرائد ومحتويات وسائل الاتصال الأخرى .[19] ويعتبر مؤلف «طوماس» «وزنانكى» «الفلاح البولوني في أوروبا وأمريكا» (The Polish Peasants in Europe and America) 1918 – 1921 ، أهم دراسة في العلوم الاجتماعية استخدمت تحليل المضمون بشكل جلى ومتسق . وقد اعتمد الكاتبان في هذه الدراسة على تحليل مضمون الرسائل الشخصية التي كان يبعثها المهاجرون البولونيون (في أمريكا) الى عائلاتهم في البلد الأصل (بولونيا) . واستنبط الباحثان يفعل ذلك تلك القيم الثقافية والاجتماعية التي حملتها هذه الفئات القادمة من الوسط الريفي ببولونيا .[20]

وقد سبقت الإشارة الى أن تحليل المضمون في ميدان الإعلام برز أساسا في الفترة ما بعد الحرب الأولى استجابة لبعض الدواعي الحضارية في الغرب : التعامل مع ظاهرة الدعاية[21] وتطورت تقنيات تحليل المضمون الكمي والكيفي خلال الثلاثينيات وتبنت العديد من العلوم الإجتماعية المقاييس والمعادلات التي أوجدها علم الاحصاء (Statistics) وكذا المعايير القيمية في معالجة النصوص الأدبية والأخرى . وقد قدم سوروكن دراسة كلاسيكية في تلك الفترة عن الفعاليات الثقافية (Social dynamics) ، 1937 – 1941 ، تضمنت تحليل مضمون أعمال الفن والموسقى والأدب والفلسفة عبر المسار التاريخي بأوروبا . وتمكن الباحث من استظهار التغيرات الإجتماعية والثقافية في أوروبا وكيف انتقلت ثقافة هذه المجتمعات من ثقافة تصورية (ideational cultrre) الى ثقافة حسية (sensate colture) .[22] وقام لاسويل أيضا بصياغة نمط خاص يمكن من تحليل وتصنيف خطاب «المرضى» في وضعية عيادية (1938) .

وقد استخدمت في هذه الفترة المقاييس الاحصائية الشاملة في تحليل مضمون الرسالة الاعلامية وتضمنت هذه مدى تكرار الرموز الأساسية (key words) مثل الديمقراطية ، والشيوعية ، وانجلترا ،

وهتلر وهل عولجت هذه الرموز بصفة متسامحة أو استنكارية أو محايدة ، وما هي أهداف المرسل (بكسر السين) ، وما هي المحتويات التي تثير اهتمام الجمهور ، وما هي القيم التي تمكن المرسل من تحديد ما يبتغيه الجمهور . ويعتبر «لا سويل» في هذا السياق رائدا في ادخال تحليل المضمون في دراسة الرأي العام والدعاية خلال الحرب الثانية ، 1939 - 1945 .[23]

وقد قام «برلسون» (1952) باجراء مسح نقدي شامل عن تطبيقات تحليل المضمون في مختلف الدراسات الاجتماعية وأورد أن هذه الدراسات تضمنت تقنيات عدة مثل تقنيات معانية (Sampling) محتويات جرائد معنية ، تقنيات تصنيف وعد الألفاظ الأساسية ؛ والمواضيع والمواثيق ككل ؛ تقنيات تطوير درجة ثبات التصنيف والعد ، الخ . وأوضح برلسون أن النموذج التصوري السائد في هذه الأبحاث هو نموذج «لاسويل» الخاص بـ «الاتصال المقصود ذو الاتجاه الواحد الذي يهدف الى التأثير على جمهور ما في المسائل العمومية الجدلية .» .[24]

وشهدت الخمسينات والستينات تطور الأدوات الاحصائية وسيادة التحليل الكمي (في حقل الاعلام) وقد انعكس ذلك في المؤتمرين الدوليين الذين انعقدا حول تحليل المضمون (الأول في الستينيات والثاني في السبعينيات) . وقد لاحظ «دانكن» أن التوجه الأولى أو الوضعي (أو الصفائية (Purism)في الدراسات الاجتماعية بدأت وانتهت بأعمال «برلسون» ومدرسة تحليل المضمون .[25]

ويتضح أن تطور أساليب البحث التي تخرج عن النموذج الاحصائي الذي اعتمده «لاسويل» و «برلسون» تم أساسا خارج حقل الاعلام . وقد ظهرت ابتداء من الستينيات عدة أطر فكرية في عدة علوم اجتماعية تطرح مناهج أخرى في تحليل مضمون النصوص ، اعلامية أو أخرى . ويمكن هنا فقط تسمية بعض هذه المناهج دون التعرض الى أسس هذه الأخيرة اذ أن ذلك يقع خارج مجال هذه الدراسة . وتتضمن هذه المناهج : منهجية تحليل روايات الحياة الشخصية (Personal accounts) والجماعية (مثال ذلك دراسة شالا سنسكس)[26] منهجية التحليل الرمزى (Symbolic analysis)[27] ، منهجية الظاهرتية (Phenomenology) ؛ مثال ذلك دراسة جاكوب[28] ؛ المنهجية البنيوية (Structuralism)[29] ومنهجية الصراع (conflict methodology) ذات التوجه الماركسي .[30]

استعمالات تحليل المضمون

يرى «هولستى» أن تحليل المضمون يمكن أن يستخدم فيما يلي :

... وصف خصائص الاتصال ، ويتضمن ذلك طرح أسئلة حول ماذا ، كيف ، ولمن يقال الشيء .

... تقديم استنباطات خاصة بسابقات (antecedents) الاتصال ، ويتضمن ذلك تساؤلات حول «لماذا قيل الشيء» .

... استظهار استنباطات خاصة بتأثيرات الاتصال ، ويتضمن ذلك تساؤلا حول «ما تأثير ما يقال .

ويسرد «برلسون» في نفس المضمار 17 استعمالا :[31]

- وصف التوجهات (trends) التي تجسد محتوى الاتصال .
- تتبع تطور فرع من فروع المعرفة . مثال ذلك أورد «أدوين» و «وقيبلب و «وارن» أن محتويات مواد الدراسة في ميدان الصحافة شهدت عدة تحولات منذ أن بدأت جامعة كانساس (Kansas State College) سنة 1873 تدرس مادة عن الطباعة الى أن أصبحت 17 جامعة في السبعينيات من هذا القرن تحتوي على برنامج في الصحافة يمتد الى مستوى الدكتوراه . فقد كانت محتويات المواد الأولى ذات توجه مهني (اعداد الطلبة لمهنة العمل في صحيفة) ثم تقلص التركيز على التقنيات ابتداء من العشرينيات اذ بدأت برامج الدراسة تعكس الاهتمام المتزايد بالجوانب الثقافية والأخلاقية والاجتماعية التي تميز الصحافة . وبرزت هكذا مواد تاريخ الصحافة ، أخلاقيات الصحافة ، الجريدة كمؤسسة اجتماعية ، تفسير أحداث الساعة ، والرأي العام . ثم أدخلت مواد أخرى مرتبطة بمستجدات التخصص كقنوات الأخبار ، والجانب القانوني للصحافة ، وادارة المؤسسة الاعلامية ، والاشهار والتصوير . وهو ما أضفى الاحترام لميدان الصحافة كفرع معتبر من فروع المعرفة الاجتماعية والانسانية .[32]
- كشف الفروق التي تخص محتوى الاتصال دوليا . مثال ذلك : كيف تتباين صحف مجتمعين مختلفين في تغطية نفس الحدث ؟[33]
- احداث مقارنة بين وسائل الاتصال أو بين مستويات الاتصال . مثال ذلك : كيف تتمايز قيم الأدوار التمثيلية في دراما اذاعية ومثيلاتها في السينما .
- رصد مدى تجاوب محتوى الاتصال مع الأهداف . فالمرسل (بكسر السين) قد لا يمتلك الوقت أو المنظور الذي يمكن من قياس التوافق بين المحتوى العملي والأهداف المنشودة .
- بلورة وتطبيق المعايير الخاصة بعملية الاتصال .
- اثراء الاجراءات التقنية في مجال البحث .
- عرض التقنيات الدعائية .
- قياس مقروئية (readability) المواد التي يتضمنها الاتصال .
- ابراز الخصائص الجمالية في نص ما . مثال ذلك : كيف يختلف الكتاب في أسلوب الصياغة الأدبية والأخرى .
- تحديد المقاصد (intentions) والخصائص الاخرى التي يتميز بها المرسل .
- تشخيص الحالة النفسية التي يتواجد فيها الأفراد أو الجماعات .
- استبيان وجود الدعاية .
- ضمان الاستعلامات السياسية والعسكرية . مثال ذلك . توقع الأعمال العسكرية الالمانية بناء على ما ترده الدعاية النازية .
- تقديم صورة عن مواقف الجماعات السكانية واهتماماتها وأنماطها الثقافية . مثال ذلك :دراسة «روح العصر» من خلال النصوص السائدة في مجتمع ما . وقد أوردت دراسة حول مضمون

المجلات الأمريكية أن هذه الأخيرة كانت في سنة 1900 تعرض مسيرة حياة رجال الأعمال والبنوك ثم أصبحت في سنوات 1940 تعرض مسيرة حياة نجوم السينما والموسيقى الشيء الذي يدل على تباين القيم تجاه ما هو مثالي من جهة ويقدم بعض الملامح عن جمهور تلك الفترات من جهة أخرى .

- اظهار المجالات التي تستحوذ على الانتباه . فقد استعمل تحليل المضمون في تحديد المجالات التي تبرزها القصص الخيالية في وسائل الاتصال .
- وصف ردود الفعل تجاه الاتصال .

وحدات تحليل المضمون :

وتتضمن هذه :

أ . وحدة التسجيل (recording unit) : وتعين الجزء الأصغر الذي يحمل دلالة ما (من حيث الظهور أو الغياب أو التكرار) في محتوى النص مثل الكلمة . إن توظيف الألفاظ في النص عادة ما لايتم بصفة اعتباطية ، بل إن هذه كثيرا ما تنسج نموذجاً نظريا قد لا يبدو ظاهرياً . ويتضح أن هناك فروقا كيفية بين قولنا ، الدول العربية أو الأقطار العربية ، أو العالم العربي ، أو الوطني العربي ، أو الشرق الأوسط ، أو دول شمال افريقيا .[34]

ب . وحدة السياق (context unit) : وتتعلق بالوحدة اللغوية الفكرية التي تحدد خصائص وحدات التسجيل مثل الجملة . إن الالفاظ (وحدات التسجيل) قد لا تمتلك دلالتها الا في السياق الذي يجسد النص (وحدات السياق) اذ أن نفس الكلمة قد تعالج ايجابا أو سلباً وفق الاطار الذي يميزها . إن الاستيطان قد يكون تعميراً في سياق واستدماراً في سياق آخر . ويلاحظ أن وحدة التسجيل قد تكون جملة فتكون وحدة السياق فقره أو أن تكون وحدة التسجيل فقرة فتكون وحدة السياق مجموعة من الفقرات أو نصا وهكذا .

فئات تحليل المضمون :

ترتبط عملية تحديد الفئات (categories) بأسلوب التجزئة أي تحويل الكل الى تقسيمات ذات خصائص ومواصفات تجسد عملياً المفاهيم النظرية والفرضيات والتساؤلات التي يثيرها البحث (مثال ذلك تجزئة المادة الاعلامية الى خبر ، مقال ، حديث ، صورة كاريكوتور ، الخ..) ويتعين أن تكون الفئة مستقلة بحيث لا تحتوي أقل أو أكثر من المحتوى المحدد كأن لا يتضمن الخبر المقال أو المقال الحديث الخ . وتتباين فئات التحليل حسب طبيعة موضوع الدراسة ونوعية الوسيلة الاعلامية وظروف المكان والزمان . وقد أورد «برلسون» أن الفئات التي شاع استخدامها تحتوي على فئات ماذا قيل (what) وكيف قيل (how) وتتضمن «ماذا قيل» عدة

فئات منها فئة السمات (trait) أي الخصائص النفسية والاجتماعية وكذا التي ترتبط بمتغيرات مثل المستوى المعيشي ، والثقافة ؛ فئة الفاعل (actor) أي العناصر ذات السلطة والمكانة في المجتمع مثل الشخصيات السياسية التي تتضمنها الأخبار أو النجوم الفنية التي يوظفها الاشهار ، الخ . فئة المصدر (source autharity) أي مرجع المحتوى سواء أكان وكالة أنباء أو أديب أو باحث أو رجل سياسة الخ ؛ فئة الجمهور المستهدف (target) أي ما اذا كان الجمهور ينتمي الى هذه الفئة أو تلك أو هذه المنطقة الجغرافية أو تلك ، الخ . وتتضمن فئات «كيف قيل» هذه عناصر منها النمط الشكلي (formal type) أي القوالب الفنية والجمالية التي يعتمد عليها النص ، فئة شكل العبارات (forms ofstatements) كأن يكون عنصر الزمن في العبارة ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا ، الخ ، وفئة النغمة العاطفية (emotionalism) أي ما قد يحدثه النص من تأثيرات تتفاوت في الحدة وفق الشكل الذي يميز المحتوى .

ويمكن أن تتنوع الفئة الى محاور تمكن من الترميز العملي كما يظهر في الجدول الذي وظفة «دوناهيو» في تحليل مضمون الأخبار عن الصحة في عينة من الصحف المختارة .

– صفحة الترميز التي استخدمها «داناسيو» في تحليل أخبار برنامج الرعاية الصحية –

الجريدة	مصدر القصة الخبرية :
تعابير تعارض البرنامج	تعابير تساند البرنامج
أفعال تعارض البرنامج	أفعال تساند البرنامج
تصريحات تساند معارضي البرنامج	تصريحات تهاجم معارضي البرنامج
تصريحات تهاجم أنصار البرنامج	تصريحات تساند أنصار البرنامج
تصريحات تذكر معارضي البرنامج	تصريحات تذكر أنصار البرنامج
من المحتمل أن تتم المصادقة على مشروع	من غير المحتمل أن تتم المصادقة على مشروع
القانون الخاص بالبرنامج	القانون الخاص بالبرنامج
مخطط أو تعديل آخر تطرحه المعارضة	أفعال تعارض المخطط الآخر
تضمينات المخطط الآخر	تصريحات تعارض المخطط الآخر
المصادقة على تعديلات المعارضة	ابطال تعديلات المعارضة
التعرض الى مخطط آخر (مخطط كارميلز)	الرئيس يحث على مخطط الضمان الاجتماعي
ايجاباً	
تأثيرات الأبطال على الاجراءات الأخرى – مضرة	تأثيرات لمصادقة على المشاريع القانونية الأخرى
	مساعدة
المعارضة تمدح تأثيرات الابطال	اعتبار تأثيرات ابطال المشروع مضرة

تضينات المخطط الأصلي – التكاليف
المعراضة قد تؤخر التصويت
متفرقات –

تضينات المخطط الأصلي – الفوائد
الأنصار يمارسون الضغط من أجل التصويت
متفرقات +
مسائل أخرى

المشروع يقترب من التصويت
التصويت على المشروع يكون متقارباً
ماذا يحدد للمشروع لو يصادق عليه أو يبطله
مجلس الشيوخ
المجالات الممكنة من أجل تحقيق المصالحة
متفرقات

مجموع المحتوى	العنوان	محتوى العنوان	الافتتاحية أو الكاركاتر الافتتاحي
+	حجم العنوان	(+ 1 ، – 1 ، أوه)	(+ 1 ، – 1 ، أوه)
–	الموقع على الصفحة		
0	الطول		
المجموع	مجموع النتائج والإتجاه		

ويمكن الاستعانة في قياس عناصر فئة التوجه هذه ببعض الأدوات الاحصائية وصفية أو استدلالية . وتتطلب عملية استخدام هذه الأدوات عدد من المعايير كحجم العينة ، ومستوى القياس (تعييني ، وترتيبي ، مستوى المسافة المتماثلة) ، ومستوى الدلالة الذي يحدده الباحث ، الخ . وقد ضربنا مثلا بتوظيف ما يسمى بمعامل اللاتوازن الخاص بدارسة توجه محتوى النص .

معامل اللاتوازن (Coofficient of imbalance)

$$F > u \qquad Cf = \frac{F2 - Fu}{rt}$$

$$F < u \qquad Cu = \frac{Fu - U2}{rt}$$

أيــن :

E = وحدات المحتوى ذات الطابع المؤيد

U = وحدات المحتوى ذات الطابع (غير المؤيد)

r = عدد وحدات المحتوى الكلي

t = عدد وحدات المحتوى المرتبط بوحدات الدراسة

ويلاحظ أن :

r = الوحدات المؤيدة + غير المؤيدة + المحايدة

t = الوحدات المؤيدة + غير المؤيدة + المحايدة + الوحدات الغير مرتبطة بوحدات الدراسة

افترض أننا جسدنا هذه المعادلة عمليا بمستندات احصائية . أن النتيجة ستكون في حالة أن

الوحدات ذات الطابع المؤيد هي أكبر من الوحدات ذات الطابع غير المؤيد :

$$CF = \frac{70^2 - 70.10}{80.80} = \frac{4,200}{6,400} = .66$$

يلاحظ أن 66 ، قد لا تحمل دلالة في حد ذاتها ، لكن الباحث يستطيع ادراج هذه الحصيلة ضمن بعض موازين القياس الذي تضفي دلالة خاصة على هذه الرموز وذلك مثل هذا السلم :

1 . 00 – 81 . شديد الحدة[35]

80 . – 61 . قوى

60 . – 41 . متوسط

40 . – 21 . متواضع

20 . – 01 . ضئيل

00 . – . لاحدة

مسألة الصدق (Validity)

اعتبر «دوبي» أن الصدق «أهم مشكل منهجي معتبر في تقييم العمل العلمي» .[36] ويرمز الصدق في عملية تحليل المضمون الى :

«... مدى تطابق تحليل مؤشر ما مع تعريف ما .»[37]

«... مدى قياس الأداة لما يراد قياسه .»[38]

«... ما اذا كانت الفروق الاحصائية (أو العددية) تمثل فروقاً حقيقية بين الأفراد من حيث الخصائص التي نريد معالجتها ، وليست فروقا تعود الى أخطاء الصدفة أو الأخطاء المبنية الأخرى .»[39]

«... المفهوم العام المستعمل في قياس مدى صحية المساهمة (أو الإجابة) التي تتضمنها الدراسة .»[40]

ويتواجد هناك نوعان من الصدق : الصدق الداخلي Internal Validity ويقصد بذلك «العلاقة المنطقية ضمن المكونات المختلفة الخاصة بالقياس» [41] والصدق الخارجي(External Validity) ويتعلق ذلك بـ «ما مدى ارتباط نتائج الدراسة المعنية «المتغيرات المدروسة ومعايير القياس» بالمجتمع في العالم الحقيقي».[42]

إن مسألة الصدق في الواقع تمس كل جزئيات البحث ، انتقاء المفاهيم ، تحديد هجس البحث ، التسلسل ، المنطق ، اللغة ، تطابق المفاهيم وأدوات البحث ، علاقة فرضيات البحث بنتائج البحث أو علاقة هذه النتائج بفرضيات البحث ، مدى مساهمة البحث في اثراء المعرفة في

وقد تكررت العملية بالنسبة لبقية الفرضيات الأخرى وتمكن الباحث من إيجاد ذلك الربط بين القالب النظري والحقائق الميدانية أي تحقيق الصدق في الدراسة .

مسألة الثبات (Reliability)

تتمثل مسألة الثبات فيما أورده «باد» و ثورب» و «لويس» من «أن الباحثين الذين يستخدمون نفس التقنيات على نفس المواد يتوصلون (ان كانت أدواتهم المنهجية تتمتع بالثبات) أساساً الى نفس النتائج» .[48] وتطرح مسألة الثبات نفسها في طور التصميم المنهجي اذ يتساءل الباحث هل أن المنهجية المستخدمة تتمتع بالثبات ومن ثم بالعلمية ؟ وقد جرت العادة في دراسات تحليل المضمون أن يقوم الباحث باختبار أدوات بحثه على المادة المدروسة ثم يعرض هذه الأدوات على مجموعة من الحكام (Panels of judges)أو القائمين بالترميز (Coders)أي الباحثين المختصين ويرشدهم الى توظيف هذه الأدوات في المادة المدروسة ثم يقارن اثر ذلك ما توصل اليه وما توصل اليه الحكام . هذه المقارنة تحدد درجة ثبات الأدوات المستخدمة في الدراسة : فان كانت استنتاجات الباحث والحكام متماثلة أساساً ، فان تقنيات البحث ثابتة (Reliable) وإن كانت غير متماثلة أو متباعدة أو متناقضة ، فان ذلك يعني (أ) ان هذه الأدوات لا تتمتع بالثبات ومن ثم لابد من إعادة النظر في استخدامها أو (ب) أن الارشادات التي قدمها الباحث الى الحكام غير واضحة أو غير مفهومة وهو ما يستدى اعادة صياغة هذه الارشادات مرة أخرى . إن الارشادات لابد أن تصاغ بحيث لا تتضمن أي شيء آخر عدا الاستعمال الأمثل لأدوات البحث الأمر الذي يقلل من الانحياز الذي يحدث عندما يحاول الباحث توجيه الحكام وفقاً لتوقعاته ، ويتعين في الجانب الأخر أن يكون الحاكم ملما بالاطار العام الذي يميز البحث حتى يتمكن من تقديم أحكام مؤهلة عن أدوات البحث اذ أن هناك علاقة تكاملية بين مفاهيم البحث وأدواته . وقد أشار «برلسون» في هذا السياق الى أن «معظم الدراسات في مجال الاتصال لا تبين علامات (Scors) الثبات وأن التي تتضمنها تتمتع بدرجة عالية من الثبات .» ويضيف «أن مراجعة حوالي ثلاثين دراسة أوضحت أن نتائج معامل الترابط يترواح بين 78 . و 99 .[49]

وقد استخدم الباحثون الاعلاميون معادلة خاصة (معادلة هولستى) تمكن من قياس درجة الثبات في دراسة ما . وتتمثل هذه المعادلة في :

(50)

$$R = \frac{2\,(c\,1,2)}{C1 + C2}$$

حيث C1,2 = عدد الفئات المخصصة التي اتفق عليها الحكمان

وC1+C2 = مجموع الفئات المخصصة التي سجلها الحكمان

ويمكن الرجوع الى دراستنا الخاصة «بالأخبار عبر الثقافات : دراسة مقارنة»[51] التي تتضمن تفاصيل عن كيفية استخدام هذه المعادلة بالذات في تحديد درجة ثبات الدراسة .

إن تحقيق الصدق أشق من الثبات ، والعلاقة بين الصدق والثبات ليست متساوية تبادلياً . ان تحقيق الصدق في دراسة ما يعني أن الثبات قد تحقق أيضا ، لكن تحقيق الثبات لا يعني بالضرورة أن الصدق قد تحقق . فلو تكرر استعمال نفس الاداة على نفس المحتوى وأنتج ذلك تبيانات متماثلة الى حد كبير فإن ذلك يعني أن الثبات قد تحقق ضمن الدراسة لكن ذلك لا يعني أن هذه التبيانات ترتبط عملياً بالواقع حقيقة (الصدق) .

ان تحليل المضمون مثل بقية الأساليب الأخرى في البحث لا يخلو من بعض المتاعب منها (أ) أن وحداث التحليل لا ينبغي أن تدرس كبنيات مستقلة اذ أن هذه الوحدات ترتبط بمستويات حالات المرسل والنظام الاجتماعي ؛ (ب) أن سيرورة الاتصال تقوم على عدة مرتكزات اجتماعية نفسية ، حضارية ، الخ . ومن ثم فان تحليل النص لابد أن يستخدم المناظير المختلفة التي تناول العوامل المختلفة الذي تدخل في الاتصال ؛ و (جـ) أن التقنيات المستخدمة في القياس والتحليل عادة ما تفتقر الى نظرية وافية تشكل الاطار المعرفي في البحث . ويبقى أنه من الممكن استخدام تحليل المضون كأداة مكملة عندما تتطلب اشكالية البحث ذلك ويقوم ذلك على التفاعل القائم بين الباحث وأدوات البحث والنص وظروف المكان والزمان والسياق الاجتماعي والتاريخي والحضاري ، والله أعلم .

NOTES

(1) Berelson, Bernard, **Content Analysis in Communication Research,** The Free Press Publischers, Glencoe, Illinois, 1952, p. 18.

(2) Krippendorff, Klaus, **Content Analysis : An introduction to Its Methodology,** Sage Publication, Beverly Hills, CA, 1978, p. 23.

(3) In Berelson, p. 2.

(4) Riley, Matilda White and Stoll, Clarice S., « Content Analysis », **International Encyclopedia of The Social Sciences,** Vol. 3, The Mac Millan Company The Free Press, USA 1968 p. 371.

(5) Glassner, Barry and Freedman, Jonathan A., **Clinical Sociology,** Longman New York, 1979, p. 115.

(6) Cuzzort, Ray P. and King, Edith W., **20 th Century Social Thought,** Holt, Rinehart, and Winston, New York 1976. p. 104.

(7) القرآن الكريم ، سورة يوسف ، الآيات 4 5 و 6 .

(8) القرآن الكريم ، سورة يوسف ، الآياة 36 .

(9) القرآن الكريم ، سورة يوسف ، الاية 41 .

(10) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، المجلد 2 ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، 1981 ، ص 42 .

(11) د. صلاح قنصوه ، «حول العقل العربي والثقافة العربية ، حوار مع د. زكي نجيب محمود» المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 144 ، 1988 ، بيروت ، لبنان ، ص : 125 .

(12) ن.م. ص 125 – 128 .

(13) Halpern, Manfred, **The Politics of Social Change in the Middle East and North Africa,** Princeton University Press, New Jersey, 1965, p. 17.

(14) الامام عبد الحميد بن باديس ، مجالس التنكير من حديث البشير النذير ، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر 1983 ، ص 22 – 23 .

(15) أنظر مثلا : قادة بوثارن ، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ترجمة د . عبد الرحمن حاج صالح ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1987 .

(16) Dallmayr, Fred R. and Me Carthy, Thomas A., **Understanding and Social Inquiry,** University of Notre Dame Press, London, 1977, p. 2.

(17) Ibid, p. 2.

(18) Riley, p. 371.

(19) ibid pp. 371-372.

(20) Timasheff, Nicholas and Theodorson, George A., **Sociological Theory Its nature and Growth,** Rondom House, New York, 1976, pp. 168-178.

(21) د . عزي عبد الرحمن ، «مسألة البحث عن منهجية بحث : اعادة النظر في نمط لاسويل ، «المجلة الجزائرية للاتصال ، العدد 2 ، مارس 1988 ، ص 15. .

(22) Cuzzort, pp. 134-135.

(23) Riley, p. 372.

(24) Ibid, pp. 372-373.

(25) H.D. Duncan, **Symbols in Society,** Oxford University Press, New York, 1968, p. 9.

(26) Chalasinski, Josef, « The Life Records of the Young Generation of folish Peasants as a Manifestation of contemporary culture. » in Daniel Bertaux **Biography, and Society : The Life History Approach in the Social Sciences,** Sage Publications Inc, California 1985, pp. 119-132.

(27) H. Duncan, pp. 44-62.

(28) Jacobs, Jerry, « A Phenomendogical Study of suicides Notes, « in H. Schwatz and J. Jacobs, **Qualitative Sociology, A Method to the Madness,** The Free Press, new York, 1979, pp. 156-167.

(29) عن افتراضات هذه المدرسة : انظر د . عزي عبد الرحمن ، «ما بعد» البنيوية والمعالم الثافية العربية ، «حوليات جامعة الجزائر ، العدد 2 . ديوان المطبوعات الجامعية ، ربيع 1988 ، ص 85 – 98

(30)T.R. Young, « Sone Theoretical Foundation for Conflict Methodology. » in **Sociological Inquiry,** vol 46 (1), (1975) pp. 23-29.

(31) in Berlson.

(32) Emery, Edwin, Ault, Phillip H, and Agee, Warren K, **Introduction To Mass** Dood, Mead 8 Compagny, new York, 1970, pp. 378-379.

(33) Azzi Abderrahmane, **A Comparison of The Reporting of International Newsin two Algerian and Two United States Dailies,** M.A., N.T.S.U., Denton, Texas, 1980.

(34) أنظر د . عزي عبد الرحمن وأ . أحمد شوتري ، «البعد القومي في الدراسات الاعلامية في الجزائر «الشعب ، (الحلقة الأولى) 21 . 5 . 87 (الثانية 24 . 5 . 87) و (الثالثة (25 . 5 . 87) .

(35) Azzi p. 34.

(36) Doby, John, **An Introduction to Social Research,** Appleton-Century – Crofts, New York, 1967,2p. 345.

(37) Zetterberg, Hans, **On Theory and Verification in Sociology,** the Bedminster Press, New York, 1965, p. 14.

(38) Resengren, Karl, **Advances in Content Analysis,** Sage Publications, Beverly Hills, California, 1981, p. 50.

(39) Selltiz, Clair, **Research Methods in Social Relations** Holt, Rinehart and Winston, New York, 1976, p. 169.

(40) Simon, Jlian, **Research Methods in Social Science,** Randam House, New York, 1969, p. 24.

(41) Zetterberg, p. 115.

(42) Drew, Clifford, **Introduction to Designing Research and Evaluation,** The C.V. Mosby Compagny, Saint Lewis, 1976, p. 96.

(43) القرآن الكريم ، سورة المؤمنون ، الآيات 12 ، 13 ، 14

(44) د . راسم محمد الجمال ، الاعلام العربي المشترك : دراسة في الاعلام الدولي العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1985 .

(45) ن . م . ص : 11 .

(46) ن . م . ص : 141 .

(47) ن . م . ص : 143 .

(48) Budd, Richard W., Thorp, Robert K. and Lewis Donohew, **Content Analysis of Communications,** New York, The Macmillan Compagny, 1967, p. 66.

(49) Berelson, p. 172.

(50) Budd, p. 68.

(51) Azzi, pp. 25-35.

قـراءات إضافيـة

Bunge, Mario, Scientific Research, The Search for System, Springer – Verlay, now York, 1967.

Carney, Thomas, **Content Analysis : A technique for Systematic Interence from Communications,** University of Manitoba Press, Winnipeg, Canada, 1972.

Emeret, Phillip, **Methods of Research in Communication,** Houghton Mifflin Compagny, New York, 1970.

Labovitz, Sanford ans Hagedorn, Robert, **Introduction to Social Research,** Mc Gran – Hill Book Co, new York, 1981.

Millar, Derkert, **Handbook of Research Design and Social Measurement** David McKay Compagny, Inc., new York, 1977.

Payer, Robert R. **The Design of Policy Research** Prentice Hall, Inc., New Yersey, 1980.

Philliper, Susan, **Social Research,** F.E. Leacock Publishers Inc., Illinois, 1980.

Phillips Bernard S., **Social Research : Strategy and Tactics,** Macmillan Compagny, New York 1966.

Thorndike, Robert L. **Measurement and Evaluation in Psychology and Education,** John Wiley and sons, Inc., New York, 1969.